سعدي يوسف

الشيوعيُّ الأخيرُ فقط



التكوين

شعر

الشيوعيُّ الأخيرُ فقط

سعدي يوسف

الشيوعيُّ الأخيرُ فقط

التكوين

الشيوعي الأخير فقط، شعر: سعدي يوسف

الطبعة الأولى: 2010

هاتف: 00963 112236468

فاكس: 00963112457677

ص . ب: 11418، دمشق. سوريا

www.attakwin.com

info@attakwin.com

taakwen@yahoo. com

بَـدْلــةُ العاملِ الـزرقـــاءُ

على مقاســـــي كانت البدلةُ !
حتى أنني لم أختبرْها لحظةً في غرفةِ التجريبِ...
كانت بَدلتي حقّــاً...
وها أنا أرتديها ؛
لا أفارقُ قُطْــــنَــــها الــمُزْرَقَّ حتى في الفراشِ !
تقولُ صديقتي :
ما أنتَ ؟
عُمّالُ المدينةِ لم يعودوا يلبسونَ البدلةَ الزرقاءَ...
عمّالُ المدينةِ لم يعودوا يَدَّعونَ بأنّهم يُدْعَونَ عمّالَ المدينةِ !
أيها المجنونُ
حتى في الفراشِ، البدلةُ الزرقاءُ ؟
هل تُصْغِي إليّ !

لندن 19.05.2008

الشيوعيّ الأخيرُ يغادرُ عَمّان

كاد الشيوعيُّ الأخيرُ يضيعُ في عَمّانَ...
عَشراً كانت السنواتُ : فارَقَها، و لم يأْسَفْ لِـــما فَعَلَ الفراقُ،
فربّما كانت حديقتُهُ من الصبّارِ،
أو كانت سفينتُهُ من الورقِ الـــمُـــقَـــوّى.
ربّما لم يُحْسِنِ الإصغاءَ للنجمِ البعيدِ،
ورُبّـــــــما...
....
....
....
كان الشيوعيُّ الأخيرُ يدورُ من جبلٍ إلى جبلٍ
ودُوّارٍ وآخرَ ؛

كان يسألُ عن رفاقٍ طالَ ما أنسَــــوهُ ما فعَلَ الرصاصُ بهِ
ويسألُ عن موائدِ حانةٍ لَــمّا تَــعُــــدْ مفتوحةَ الأبوابِ،
دارٍ للنقاباتِ...
المدينـــةُ راكَمَتْ عجلاتِها الصفراءَ، آلافاً
وأعْلَتْ عاليَ الأبراجِ.
لم تَعُدِ المدينةُ مثلَ ما فارقْــتَها يا صاحبي،
و " الأزرعِيُّ " رفيقُكَ الأبديُّ غادرَ " إربدَ "...
الدنيا تبدّلت
البلادُ غريبةٌ...
غادِرْ !
وحاذِرْ أنْ يرى أحدٌ بها...
وجهَ الشيوعيِّ الأخــــــير !

لندن 27.07.2009

الشـــيوعيّ الأخيـــرُ يُثرثِــر

قالَ الشـــيوعيُّ الأخيرُ

وكان في مقهىً، يُحَدِّثُ مَنْ يُحَدِّثُ مِن رفاقِ الأمسِ :

يا محمودُ

هل تدري بأني لا أُحِبُّ البيرةَ الســــوداءَ ؟

عاماً بعدَ عامٍ بَعدَ عامٍ، كان أهلُ بْـــــراغ يمتدحونَها

يَتَـــمَـــطَّـــقونَ بذِكْـــرِها

وبِطَـــعْـــمِـــــها

حتى كأنّ البيرةَ السوداءَ ماءُ السلسبيلِ بجنّةِ المأوى

كأنّ البيرةَ السوداءَ كَـــوثَـــرُهُـــــم...

ولكني أداعِـــبُـــهُـــم، وأمضي في الدُّعابةِ :

يا رفاقي

لا أُحِبُّ بْـــــراغ...

لا أهلاً

ولا بَــلَــداً !

وأنتَ، اليومَ، يا محمودُ، تَشْـــهَدُ

كيفَ تلعبُ بالعراقِ جماعةُ بْــــراغ...

❖

الشيوعيُّ الأخيرُ

اختارَ، بعدَ تردُّدٍ، ما اختارَ :

كأساً من نبيذٍ أحمرَ.

المقهى صغيرٌ، دافئٌ

والنارُ نارُ جذوعِ صفصافٍ تَــضَـــوَّعُ كالبَخورِ

البارُ من خشبٍ عتيقٍ...

....

....

ربّــما دخلتْ صديقــتُــــهُ مصادَفـــةً.

لندن 23.02.2010

May Day in Morisplaz-Berlin

أوّل أيّار في موريس بلاتسه (برلين)

قالت لي جوْانُ :
الليلةَ نسـهرُ حتى منتصفِ الليلِ
فقد نلقى سـاحرةً في عَتْمةٍ منعطَفٍ...
(لَـيلَـتُهُنَّ !)
وفي الصبحِ
الصبحِ العالي
سنسيرُ إلى ساحة موريسَ، لننضمَّ إلى العمّالِ
ونهتفَ تحتَ الراياتِ الحمراءِ...
....
....
كان الليلُ عجيباً في برلينَ الشرقيةِ

(لا أسهرُ في الغربيةِ)
كان الليلُ شـــــوارعَ من موسيقى الجازِ
وأنهاراً لقناني البيرةِ.
أغلقت الشرطةُ بضعةَ أحياءٍ.
(كان مئاتٌ من شرطةِ منْعِ الشغَبِ انتشـــــروا...)
قلتُ :
جْوانْ ...
إنْ كان الليلُ عنيفاً هذا العنفَ، فكيف، إذاً، سيكونُ الصبحُ؟

....

....

الراياتُ الـــحُمْــــرُ، الراياتُ الخفّاقةُ، راياتُ الأيّامِ الذّهَبِ التأسيسِ، وكارل ماركس، وإرنَسْتْ تَلْــــمان، بْرَيْخْت، الكاباريت. الراياتُ المرفوعـــةُ أعلى من أبراجِ الكاثدرائياتِ وأعلى من تاريخِ التاريخِ. الراياتُ الدفّاقةُ في كلِ ذراعٍ شُهُباً.
تلك الراياتُ سنشهدُها، صبحاً في الساحـــةِ، آنَ نُفيــــقُ !

كان الوقتُ ضحىً. بُرْجُ الساعةِ لم يشهدْ بَعدُ مواعيدَ العشّاقِ.

أَمْ أن الناسَ، جميعاً، في الساحةِ حيث مُظاهرةُ الأوّلِ من أيّارَ؟

وفي هذا العامِ التاسعِ بعدَ الألفَينِ، القلعةُ تهتزُّ. العمّالُ بلا عملٍ.

سيكونُ الناسُ جميعاً في الساحةِ !

أمواجُ بَيارقِنا

وهديرُ حناجرِنا

في الساحةِ...

❖

سيّاراتُ الشّـــــرْطةِ، ساكنةٌ. لا صوتَ، ولا شــــــرْطةَ.

والساحةُ (أعني موريس بلاتسهْ) بَدَتْ فارغةً

إلاّ من متسكِّعةٍ

أفرادٍ. أحسستُ بأني في غيرِ مكاني. قلتُ : جوْان...

أنحْنُ وصلْـــــنا؟

قالت: طبعاً !

❖

عجباً !

حتى التركيُّ

الكرديُّ التركيُّ

استبدلَ بالبيرقِ، دكّانَ كَبابِ !

لا مطرقةُ ستالينَ، ولا منجلُ ماو...

العمّالُ الألمانُ يعومون، سعيدينَ، بأنهارِ البيرةِ،

ثمّتَ شمسٌ ساخنةٌ

والفتياتُ تمدّدنَ على العشبِ.

لندن 29.05.2009

استقالةُ الشيوعيّ الأخير

قال الشيوعيُّ الأخيرُ :
سأستقيلُ اليومَ
لا حزبٌ شـيوعيٌّ، ولا هُم يحزَنون !
أنا ابنُ أرصفةٍ
وأتربةٍ
ومدرستي الشوارعُ
والهتافُ
ولَسْعةُ البارودِ إذ يغدو شميماً...
لم أعُدْ أرضى المبيتَ بمنزلِ الأشباحِ،
حيثُ ستائرُ الكتّان مُسْدَلةٌ
وحيثُ الماءُ يَأْسَنُ في الجِرارِ،
وتفقدُ الصوَرُ المؤطَّرةُ، الملامحَ...

....

....

....

أستقيلُ

وأبتَني في خيمةِ العمّالِ

مطبعةً

ورُكناً...

سوف أرفعُ رايتي خفاقةً في ريحِ أيلولٍ

مع الرعدِ البعيدِ، ومَــدْفَقِ الأمطارِ،

أرفعُها

ولن أُدْعَى الشــيوعيَّ الأخــير !

....

....

الليلُ يأتي.

لندنُ الكبرى تنامُ كعهدها، ملتفّةً بالمعطفِ المبلولِ

أمّا في الضواحي (و لأَقُلْ هَــيْــرْفِــيلْـــــد) حيثُ يقيمُ
صاحبُنا الشيوعيُّ الأخيرُ
فقد أقامتْ ربّةُ الأمطارِ منزلَها عميقاً في العظامِ...
اللعنةُ !
انتفضَ الشيوعيُّ الأخيرُ :
إن استقلتُ
فأين أذهبُ ؟
إنّ ثمّتَ منزلاً لي،
فيه عنواني المسجَّـــــلُ ...
ولْـــيَكُنْ بيتاً لأشباحٍ !
سأسكنُه
وأسكنُهُ
لكي أُدْعى الشيوعيَّ الأخير !

لندن 02.09.2008

تعاليمُ الشيوعيّ الأخير

مَن يخطو سَبعاً ليكونَ شيوعيّــاً ؟

❖

أعرفُ أنّ بنات يسألْنَ
وأعرفُ فتياناً سألوني،
أعرفُ أيضاً أنّ شيوعيَّ غدٍ ليس شيوعيَّ الأمسِ...
وإذاً... كيف يكونُ الــمرءُ شــيوعيّـــــاً ؟

....

....

يستمتعُ بالأشياءِ جميعاً، لكنّ عليه ألاّ يملكَ شيئاً
يقرأ كارل ماركس : كتاباتٍ أولى، ورسائلَ، حتى يَبْلغَ " رأسَ المالِ ".

في الحزبِ يظلُّ رفيقاً في قاعدةٍ ليستْ متخصِّصةً، كي
ينظرَ من فوق...
يلبسُ أجملَ، يسمع موسيقى، ويغَنِّي مثلَ مغنِّي أوبرا
إيطاليّ...
يتعلّمُ كيفَ يفكُّ سلاحاً (حتى لو كان مسدّسَــــه)
ويُرَكِّــــبُــــهُ.
يتعلَّمُ فنَّ الصمتِ... ويُصغي.
لا يؤمِنُ إلاّ بالشعب !

لندن 03.07.2005

أيامُ العملِ السّــرّيّ

كنتُ أراقِبُ في عينيها ما كانت تَــجْهَدُ أن تُخفــيـــهِ :
ليالي العملِ السِّـــرِّيّ
بيوتَ الحزبِ
ومطبعةَ المنشوراتِ المحمولةَ في صندوقٍ خشبٍ...
ذاكَ الرعبَ من الإعدامِ، الغائرَ مثلَ حصاةِ رصاصٍ في الرأسِ.
تقولُ :
سقى اللّهُ، بما يســـقي، تلكَ الأيامَ !
لقد كنتُ فتاةً دون العشرينَ
مغامرةً
أحملُ مِطواةً للّحظة
آنَ يكون الموتُ حياةً...
آنَ أكونُ الأجملَ !

....

....

....

أنت الآنَ تراني...

حسناً !

لكنْ، بعد دقائقَ، أو ساعاتٍ

سنكونُ بعيدَينِ

بعيدَينِ تماماً

حتى عن ذكرى هذا البارِ المكتظِّ بأهلِ المســـــرحِ

هذا البارِ البارِدِ

حيثُ تدفّــأْنا بنبيذٍ

وبأيّامٍ لن أستقبلَها حين تعود...

لندن 07.11.2007

الشيوعيّ الأخيرُ محرِّرٌ بغداد

عشرونَ ألفاً من بساتينِ السماوةِ
أقبَلوا متدافعينَ
ومن غِياضِ الكوتِ...
كانوا يحملونَ بنادقَ البَرْنو
ويستبقونَ سيّاراتِ " لادا "
من ذواتِ الـمَـبْـدَلِ اليدويّ
والدَّفْعِ الرُّباعيّ...
الغبارُ يشوِّشُ الآفاقَ
والراياتُ حُمْـرٌ،
لا تكادُ تُرى من النقْعِ الـمُـثارِ.
الفجرُ لَـوَّحَ
والهتافُ :

تعيشُ بغدادُ !
الشيوعيُّ الأخيرُ هنا...
الشيوعيّونَ جاؤوا
حَــرَّروا بغداد !

لندن 28.02.2010

الشـــيوعيّ الأخير لا يعمل مترجِماً

كأنّ الشيوعيّ الأخيرَ يُــلِمُّ باللغاتِ جميعاً...
كلّما حلَّ بلدةً تعلَّـــمَ فيها ؛
وهو يُقْسِـــمُ أنه تعلَّـــمَ سبعاً في مدارسَ صعبةِ الـــمِـــراسِ،
وأنّ الطيرَ تفهمُ ما يقولُ... إلخ... إلخْ
وأنّ فتىً من فترويلا أرادَ أن يسجِّـــلَـــــه في الأوبَرا !
قالَ إنه لأفصحُ من فرسانِ قشتالةَ...
الحديثُ يطولُ !

....

....

....

اليومَ
أبصرتُهُ وقد تَــلَـــبَّـــثَ في المقهى...

- أتدري ؟

أرادوني أكون مترجِماً ...

- بكليّةِ الآدابِ ؟

- لا. في المعسكرِ...

- الكلامُ غريبٌ !

- إنني ذاهبٌ غداً إلى " الشَّـــطرةِ " الخضراءِ

لا مِن معسكرٍ، ولا أميريكيّـــينَ...

- والطيرُ ؟

والغناءُ ؟

- سأنساها إلى أن أرى ندىً ينِثُّ علينا،

والحديثُ يطولُ....

لندن 04.07.2006

الشيوعيّ الأخيرُ يرفضُ عملاً

قال الشيوعيُّ الأخيرُ :

حقيقةً، إني بلا عملٍ... ومنذُ سنينَ أبحثُ ؛

غيرَ أني أرفضُ العملَ الذي حدَّثــتَــني عنهُ...

الصباغةُ مِهنةٌ...

- لكنها ليستْ تناسبُني...

كأنك لم تصافحْني، و لم تعرفْ هواءَ رفوفِ مكتبتي،

كأنك لم تكنْ يوماً رفيقي في الخَــلــيّــــةِ !

(نحن كنّا آنذاكَ نقودُ إضراباً... أتذْكرُ ؟)

كيفَ يا ولَدي...

أصَــبّــاغَ الوجوهِ تريدُني ؟

لو شِئتَ أن أمضي لأصبغَ كلَّ بيتٍ في العراقِ مضَيتُ...

لكنْ، كيفَ أصبَغُ أوجُهاً خَزِيَتْ

وأقنِعةً

وحشْداً من رؤوسِ الوحْلِ والرَّوثِ الطريّ ؟

تريدُني أن أُخفِيَ الأشياءَ ؟

أن أُرخي القناعَ حقيقةً ؟

أن أخدعَ الأبصارَ ؟

....

....

....

حقّـــاً...

نحن نمشي في حديقةِ ساحراتِ الموتِ ؛

لكني الشيوعيُّ الأخير...

لندن 14.07.2006

الشيوعي الأخير يدخل الجنة

كان الشيوعيّ الأخيرُ مؤرَّقاً في ليلةِ الأحدِ،
الصديقةُ غادرتْ ظُهراً إلى باريسَ،
والمطرُ الخفيفُ يجيءُ أثقلَ،
لحظةً من بعدِ أخرى.
والنبيذُ الأستراليُّ الذي قد كان يكْـــرَعُـــهُ
بأقداحٍ كبارٍ كادَ يصرعُـــهُ!
وجاءته المصيبةُ عند بطّـــاريّةِ السيّارةِ. الأشياءُ قد همدت؛
فماذا يفعلُ الآنَ ؟
الشيوعيُّ الأخيرُ مضى ينقّبُ في الرفوفِ العالياتِ ...
وثَـــمَّ أتربةٌ على الكتبِ العتيقةِ. ثَمَّ نسْجُ العنكبوتِ،
وما تبقّـــى من جناحَي نحلة.
لكنه استلَّ الكتابَ، وراحَ يقرأُ:

أمرُنا عجبٌ!

مَلاكٌ جاءَ يصطحبُ الشيوعيَّ الأخيرَ

إلى جنانِ الـــخُلْـــــدِ...

قالَ لهُ : لقد طوّفتُ في الآفاقِ ســــبعاً ،

كي أصادفَ طاهراً . كان الذين رأيتُهم قوماً عجيبينَ ...

الصلاةُ وكلُّ شـــيءٍ . غير أني كنتُ

أسألُ عن عقيقِ سَـــجِـيّـتَينِ : الطُّهرِ والعدلِ .

السماءُ تفتّحتْ...

فلننطلقْ ، لتكونَ في الفردوسِ بعد دقيقة!

كان الشيوعيُّ الأخيرُ مكوَّماً فوقَ الأريكةِ

هادِيءَ الأنفاسِ

مبتسماً...

كأنّ روائحَ الفردوسِ تُفْـــعِمُ قصرَهُ الليليَّ حقّـــاً!

لندن 28.6.2006

الشيوعي الأخير يذهب إلى باريس

"لا تهجريني..."
قال جاك بريَلْ
Jacques Brel:
Ne me quitte pas!
وها أنذا أقولُ : رفيقَنا كنت...
الحياةُ جميلةٌ إن لم تكن في Pere- Lachaise
الحياةُ جميلةٌ إنْ كنتَ تبحث في الضواحي عن فتاةٍ أخلفتْ
بالأمسِ موعدَها...
وتسألُني : وما دَخْلُ الضواحي بالشيوعيّ الأخير؟
أقولُ مهلَكَ ! لستُ تعرفُني، إذاً...
أنا الـــمَعْنيُّ بالمعنى،
بـــما تَهبُ الحياةُ
أنا الشيوعيُّ
الأخير!

لندن28-5-2006

الشيوعيّ الأخير يريد أن يكتب شعراً

من أين جاءت نخلةُ البِصريّ كي تُرخي جدائلَها عليه،
وتأمرَ الأطيارَ أن تشدو قليلاً باسمِهِ ؟
كان الشيوعيّ الأخيرُ ينامُ تحتَ النخلةِ :
الشعراءُ قد صمتوا !
عجائبُ...
كيف يصمتُ عن أنينِ النخلةِ الشعراءُ ؟
كيف يكونُ أوّلُهم، كآخرِهِم، أصَمُّ، وأبكمُ ؟
اندلعتْ حرائقُ مثلَ أشرطةِ القيامةِ
وامّحَتْ مُدُنٌ،
وذابتْ تحتَ صخريجِ القذائفِ واللظى أضلاعُ عاصمةٍ...
وغابتْ نسوةٌ في وحشةِ الصحراءِ
يَدْفُنَّ البلادَ

مولوِلاتٍ

ذاهباتٍ في السوادِ...

عجائبُ !

الشعراءُ، أوَّلُهُم، كآخرِهِم، أصَـــمٌّ، وأبكَـــــمُ.

....

....

....

انتبَهَ الشيوعيُّ الأخيرُ :

لقد كتبتُ !

لندن 17.06.2006

الشيوعيّ الأخيرُ يَخرجُ متظاهراً

قالَ الشيوعيُّ الأخيرُ : اليومَ أخرجُ في مظاهرةٍ
لِطَــرْدِ الإحتلالِ وصَحْــبِـــــهِ...
ومضى إلى السوقِ ؛
اشترى مترَيْ قماشٍ أبيضَ
استلَفَ الطِلاءَ الأحمرَ الوهّاجَ من رسّامةٍ كانت تحبُّ يدَيهِ،
ثمّ استعملَ المنشارَ كي يتنصّفَ اللوحُ الدقيقُ...
وهكذا، خَطَّ الشِعارَ
وجَرَّبَ...
الأشياءُ مُــحْــكَــمَــةٌ تماماً !
وهو مندفعٌ، وأهوَجُ، مثلَ عصفورٍ يطيرُ الـــمرّةَ
الأولــــى...
وهاهوذا !

تباطأَ عند بابِ البيت

لَفَّ شِعارَهُ، وطواهُ، مثلَ مِظلّةٍ في يومِ صَحْــــوٍ

ثم قال لنفسِهِ :

حسَـــــنـــــاً !

لِنَفْرِضْ أنّ شخصاً جاءني مستفسِـــــراً...

" مِن أيّ حزبٍ أنتَ ؟ "

كيفَ أرُدُّ ؟

أحزابُ المدينة، كلُّـــــها، قد وقّعَتْ بأصابعٍ عَشْــــرٍ :

يعيشُ الإحتلالُ

ومرحباً بجنودِهِ

وبُـــنـــودِهِ !

....

....

....

سأقولُ :

إني حِزبُ نفســـــي

إنني أُدْعَى الشيوعيَّ الأخيـــــر !

لندن 17.07.2006

الشيوعيّ الأخير يُمازحُ الحلاّق

قالَ له الحلاّقُ :

يا صاحبي

وجهُكَ نورُ البدرِ

لا لِحيةٌ

فيه

ولا شـــــاربٌ...

قالَ الشيوعيُّ الأخيرُ : انتبهْ !

مَنْ حُلِقَتْ لِحيةُ جارٍ لهُ

فـلْـيَسْـكُبِ الماءَ على لِحْيَتِهْ !

- لكنّما وجهُكَ صافٍ...

- عجيبٌ أنتَ...

حلاّقٌ، ولا تعرفُ القصّةَ ؟

خُذْ ماءً قليلاً
وضَعْ شيئاً من الصابونِ في كفّيكَ
ضَعْ قُطـــناً وصمغاً ... نعَمْ...
وامسَحْ بهِ وجهي...
- لماذا ؟
ألَم تسمعْ بأنّ الشيبَ قد يكشفُ الغيبَ ؟
- إذاً، جئتَ تُرَبِّي لِحيةً !
لا تَقُلْ هذا !
لقد جئتُ لكي أخْـــفَـــى...

لندن 11.07.2006

الشيوعيّ الأخير
يتعلّم الهبوط بالمظلّة

في قريتي، غربيَّ لندنَ، عند رَبْضٍ من بحيراتٍ وغاباتٍ
ستلْـــقى " معهد الطيَران "،
والأسماءُ خادعةٌ... (كما يُحْكى)
فلستَ ترى هنالكَ غيرَ مَدْرَجِ طائراتٍ من ذواتِ محرِّكٍ فَرْدٍ
وغرفةِ مَن نسمِّيهِ الـــمُراقِبَ
ثم مقهىً من ثلاثِ موائدَ ؛
الأشياءُ خادعةٌ !
ألم تسمعْ بما نشرتْ صحيفةُ " إندِبَنْدَنْتْ "
أن هذا المعهدَ المنسيَّ في الغاباتِ قد زارتْه أمسِ أميرةٌ عربيةٌ
تتعلّمُ الطيَران !

قلتُ : إذاً... أكونُ هناكَ ؛
قد أحظى بلَـــفتـــتِـــها الكريمةِ وابتسامتِها
إذا مرّتْ بنا مَـــرَّ السحابةِ.
ربّما عطفَتْ علَيَّ
وحلّقَتْ بي في سماءٍ من نعومةِ مُخْمَـــلٍ
وسحائبٍ للنَــــدِّ والعُـــودِ !

....

....

....

الأميرةُ لم تكنْ في " معهدِ الطيَرانِ "...
أبصرتُ الشيوعيَّ الأخيرَ هناكَ !
❖ أيُّ حماقةٍ جاءتْ بكَ ؟
– الأيامُ...
جئتُ هنا لأعرفَ كيفَ أهبِطُ !

....

....

....

قلتُ : ياهذا، يجيءُ الناسُ كي يتعلّموا الطَيَرانَ !

قالَ : لقد تعالَينا

تعالَينا

تعالَينا

إلى أن لم يَعُدْ خيطٌ ولو واهٍ يشدُّ عروقَنا بالأرضِ...

إني الآنَ أهبِطُ بالمظلّةِ ربما تتعرّفُ الأعشابُ رائحتي

فتمنحني الحياةَ !

لندن 06.06.2006

الشـــيوعيّ الأخير يقرأ أشعاراً في كندا

ضاقت به الدنيا،
ولكنْ لم يَضِقْ، هذا الشيوعيُّ الأخيرُ، بها...
وكان يقول : للأشجارِ موعدُها،
وإنْ طالَ الخريفُ سنينَ أو دهراً !
وكان يقول أيضاً :
خمسَ مرّاتٍ تَـلَـوتُ الشِّعرَ في وطني،
لأبتدِئَ الرحيلَ ...
وكانَ...
لكني سمعتُ بأنه قد كان في كندا
لأسبوعَينِ ؛

ماذا كان يفعلُ ؟

ليس في كندا، شيوعيون بالمعنى القديمِ،
وليس في فانكوفرَ امرأةٌ معيّـــــنةٌ ليسبقَ ظِــلَّها أنّـــى
مضتْ ...

بل ليس في " الروكي " نخيلٌ، كي يقولَ اشتقتُ للشجرِ
المقدّسِ ؛
قلتُ : خيرٌ أن أُسائلَ أصدقاءَ لهُ ...
أجابوني : لقد كان الشيوعيُّ الأخيرُ، هنا، نقولُ الحقَّ... بل
إنّـــا سهرنا ليلةً في مطعمٍ معهُ. وقد
كنا نغَـــنِّـــــي، والنبيذُ القبرصيّ يشعشعُ الأقداحَ
والوجَناتِ. ماذا ؟ نحن في فانكوفـــــرَ الخضـــــراءِ
لا بغداد...
لكنّ الشيوعيّ الأخيرَ مضى !

إلى أينَ ؟

اشترى، صبحاً، بطاقـــتَـــه، إلى عَبّـــارةٍ تمضي به،

هُـــــونا، إلى جُزُرِ المحيطِ الهاديءِ ...

❖

الأيامُ، في أيّـــامنا، عجَبٌ !

وأقرأُ في رسالته الأخيرةِ :

أيها المسجونُ في أوهامكَ السوداءِ،

والكتـــــبِ التي ليست بلون قمـــــيصِكَ !

اسمعْـــــني ... ولا تقطعْ عليَّ سرابَ أسفاري.

لقد هبطتْ بيَ العَــبـــــّارةُ البـــيضاءُ

عند جزيرةٍ بالباسِفيكِ ... أقولُ : فِكتوريـــــــا !

فيندفعُ الشميمُ، وتخرجُ الخـــلجانُ

سابحةً. ستأتي عندنا الحيتانُ فجراً، أو أسُـــودُ البحـــرِ.

لا تـــتعجّـــل الأنـــباءَ....

فِكتوريا هي الأمُّ العجيبةُ، جَـــدّةُ الهنديّ والملهوفِ،
والأنـــــثى المقدّســــــــةُ. الطواطمُ
عندها حرسٌ، وروحُ الدبِّ. والأسماكُ هائلةً تَقافَـــزُ بينَ
كفَّـــــيها.

....

....

....

وماذا كنتُ أفعلُ في الجزيرةِ ؟
أنت تعرفني. تماماً.
كنتُ، مثلَ نضالِ أمسِ، أُحَرِّضُ الطلاّبَ ...
كيفَ ؟
قرأتُ من أشعارِ سعدي يوسف...
الــــبَــحّـــــــار، صاروخ توماهوك، إعصار كاترينا،
وقتلى في بلاد الرافدَينِ.

ولحيةُ القدّيس والْت وِيتمان. أشجار البحيرات العميقةِ .

والبارات عـــــنـــــدَ

إجازةِ الجنديّ. تبدو بغتــــــةً عَـــوّامةٌ في النيلِ.

يبدو النخلُ أزرقَ في البعيدِ.

النسوةُ الغرثى يَـــلُـــبْنَ . عُواؤنا ؟

أمْ أنها تلك القطاراتُ التي تمضي

إلـــى ليلِ الـــمَـــدافنِ في الصحارى...

أيها الجنديّ دَعْ بلدي، ودعْني في الجحيمِ.

قرأتُ من أشعارِ سعدي يوسف...

الأمرُ الغريبُ : كأنّ هذا الشاعرَ الضِـــلّيلَ يعرفُني،

ويعرفُ ما أريدُ ....

كأنه أنا !

لستُ أفهمُ ما أقول...

لندن 31.10.2006

الشيوعيّ الأخير يشهد
أوّل أيار في برشلونة

لو كنتُ جئتُكِ، يا شوارعُ، في الثلاثينات !
لو راياتُكِ الحمراءُ والسوداءُ كانت في يدَيّ...
ولو أقمتُ ببابِ حزبِ الفوضويّينَ، النهارَ وليلَهُ
والحُلمَ والمتراسَ !
قد كانت لنا أيّامُنا ؛
والآنَ، يَدْرُجُ بينَنا أيتامُنا :
لا رايةٌ حمراءُ أو سوداءُ
بل لا رايةٌ حمراءُ/ سوداءُ...
الشوارعُ أنبَتَتْ أولادَها نَوكى ومِثْليّينَ
والشققُ القديمةُ حيثُ كنا نحفظُ الديناميتَ
والجرحى

وأحزمةَ الرصاصِ
وقوْتَنا اليوميّ
صارتْ كعبةَ السوّاحِ...
ماذا يفعلُ العمّالُ هذا اليومَ ؟
قد أبصرتُهُم
ومشَيتُ أمتاراً أرافقُهُم كأني في صلاةِ الغائبِ...
الراياتُ CGT الثلاثيناتِ
أحمرَ / أسودَ
الأصواتُ أصواتُ الثلاثيناتِ
لكنّ الشوارعَ لم تَعُدْ تمشــــــي...
....
....
....
مشَينا

ربّـــمـــــا...

لكنْ لندخلَ حانَ أنطونيو

الرفيقِ السابقِ.

الراياتُ قد طُوِيَتْ على أخشابها.

والناسُ عندَ البحرِ

عندَ كولومبُسَ المنســــــيّ

ينتظرون...

لندن 08.05.2006

الشيوعيّ الأخير يذهب إلى السينما

ملحوظةٌ هامّةٌ جداً :

يقالُ في الصحافة المحترفة إن الخبر الجيد يجب أن يتضمّن

أربعة أجوبة عن أربعة أسئلة :

متى ؟ أين ؟ ماذا ؟ مَن ؟

وبما أن الشيوعيّ الأخير لم يحترف الصحافة المتاحة لأسبابٍ

ليست خاصةً به، كما يقول،

فقد تصرَّفَ كما يحلو له، مكتفياً بـــ " أين ؟ " و " ماذا "

و " مَن ". أي أنه قفزَ على " متى " قفزاً. أمّا " مَن " فقد

اكتفى فيها بذِكْرِ الحرفِ الأول من اسمه، وقد يكون تصَرُّفُه

هذا نتيجةَ تربيةٍ قديمةٍ في العمل الســـرّيّ. الخطّة، واضحةٌ،

لديه، في الأقلّ. وهي تشملُ

النقاطَ الأربعَ الـــمُدْرَجةَ في أدناه :

1- موقع السينما.

2- موقع الشيوعيّ الأخير في قاعة السينما.

3- الفيلم المعروض.

تأمُّلات الشيوعيّ الأخير بعد انتهاء العَرض.

موقِع الســـــينما

لا تمتلكُ الدارُ اسماً حتى الآنَ

و لا تمتلكُ الدارُ لموقعها رسماً حتى الآنَ

ولكنّ الناسَ يحبّونَ الذكرى. يُحْيونَ الذكرى.

يَحْـــيَونَ مع الذكرى.

ولهذا منَحوا تلكَ الدارَ اسماً : دارَ الذكرى...

❖

كنا نتساءلُ كلَّ مساءٍ : أين الدارْ ؟

فيُقالُ لنا : دارُ العَرضِ تغورُ عميقاً في الأرضِ...

نقولُ : إذاً... مَن يدخلُها ؟

بعدَ طوافٍ، وبحارٍ، وضفافٍ
أبصَرْنا الـــمَـــبْنى...
كان جداراً منخفضاً من طينٍ معجونٍ بالـــتِّـــبْـــنِ...
المبنى كان بلا بابٍ
كان بلا محرابٍ ؛
كان وطيئةَ أَنعامٍ بين جذوعٍ خاويةٍ.
ها نحن أولاءِ هناك...
بَـــلَـــغْـــنا دارَ الذكرى !

موقعُ الشيوعيّ الأخير في دار السينما

دارُ الذكرى، دارٌ للعَرضِ الصيفيّ
والناسُ بها يقتعدونَ الأرضَ
إلاّ أصحابَ الدارِ... فقد كانت لهمو بِضْعُ أرائكَ
مستوردةٍ
في الصفّ الأوّلِ.
كان الناسُ طويلاً ينتظرون أماكنَهم...
أمّا أصحابُ الدارِ فقد جلسوا منذ الآن،
وجاؤوا بكؤوسٍ وقناني ماءٍ.
والناسُ يلوبون
عطاشـــــى
أنهكَهمْ قيظُ الصيفِ
وبُعْـــــدُ الدارِ...
ويسألُ " س " : أليسَ لنا، نحن الناسَ، مكانٌ ؟

قيلَ : اجلِسْ أنَّى شئتَ !
وفكَّـــــرَ " س " : الأفضلُ لي أن أقتعدَ الأرضَ بآخرِ
صفٍّ...
سوف أرى الناسَ جميعاً
وأرى الفيلم...

الفيلم المعروض

عن أيِّ مزرعة هنا، يتحدثُ الفيلمُ ؟ الخرافُ تدورُ
والغِزلانَ، ثَـــمَّ زريبةٌ يُقْعي
بها بشرٌ عُراةٌ. والذئابُ تنامُ نِصفَ مَنامِها المألوفِ. تهبطُ
بالمظلاّتِ النســـــاءُ
وقد لبِسْـــــنَ ملابسَ العَومِ. الزريبةُ أشرعَتْ أبوابَها
للقادماتِ من الفضاءِ. يهلِّلُ
البشرُ العُراةُ : المنقذاتُ أتَينَ ! كانت في السماءِ سفينةٌ
بَحريّةٌ، ميناؤها " جَنَوا ".

النساءُ يَطِرْنَ نحوَ سفينةِ الخشبِ الجميلةِ تاركاتٍ في
الزريبةِ ما خلَــعْــنَ. ويهتفُ
البشرُ العُراةُ وقد تقدّمت الذئابُ إلى الزريبـــةِ : يا إلهَ
النارِ ! أشعِلْ عودَ كبريت
لتنقذَنا... ستأكُلنا الذئابُ الليلةَ. الغربانُ في
الـــثُّـــكْنات.

تأمُّلاتُ الشيوعيّ الأخير بعدَ انتهاءِ العَرضِ

سوف يستغرقُ الحديثُ طويلاً لو أردْنا، لكننا رِفقةٌ لا
نُتْقِنُ اللفَّ والــملَفَّ...
انتهى " س " من العَرضِ، ساهماً... كان مشدوداً إلى
فكرة :
هل يكونُ الفيلمُ وهماً ؟ والقصْدُ : هل كانَ الحقيقةَ
الــمُرّةَ، العلقمَ ما شاهَدَ ؟
السفينةَ في الـــجـــوِّ.

انتبهْ أيها العاملُ الشيوعيّ...
إن العالَمَ اليومَ يظهرُ بالمقلوبِ...
ماذا عليكَ أن تفعلَ ؟
الشيوعيّ كارل ماركس قد قالَها : سنَقْــلِــبُــها حتى
نرى السفينةَ في البحرِ...
الشيوعيّ " س " يســــري وحيداً.

لندن 23.05.2006

الشيوعيّ الأخير يذهب إلى البصرة

وقالتْ له : أســـــرَفْتَ !
كلُّ مدينةٍ حللْتَ بها أغفَلْتَ عن أهلِها الفكرةْ
كأنّ مَدارَ الكوكبِ اختَلَّ سَـــــيرُهُ
فلم يَبْقَ من ذاكَ الــمَدارِ ســــوى البصرةْ...

❖

ولكنني فكّرتُ...
إنّ صديقتي تقولُ صواباً ؛ كيفَ أنسى ديارَها، حديقتَها،
والشُّرْفةَ ؟
الصيفُ أرسلَ الرسائلَ. والكرســـيُّ ما زال يقصدُ البِيانو.
الفتى
الهنديُّ يُلقي سلامَهُ ســـــريعاً،
وأعلى دوحةِ السَّـــرْوِ حَطَّ طائرٌ

عجيبٌ. أ مِن فردوسِ " لِيزا " أُســـــافرُ ؟

❖

تعلّمتُ أن أحكي، فلستُ مُـــكَـــتِّـــماً هواجسَ ليلي
الأربعينَ :
أنامُ في جناحَي غُرابٍ. والسعالي ضجيعتي. ومن دميَ
المسفوحِ لَونُ
الحوائطِ... انتهَيتُ إلى أن أرضعَ التّيسَ. أن أرى تماسيحَ من
قارٍ تُغَنّي
وأن أرى خيولاً عليها من عيونٍ حوافرُ...

❖

وتسألُني " لِيزا " وقد أطبَقَ الدُّجى : سمعتُكَ تهذي...
كنتُ أحسَبُ أنني أهيمُ بِوادي الجِـــنِّ ! هل كنتُ نائماً
بِوادي الذئابِ ؟
الليلَ تَختَضُّ... ناضحاً شفيفَ دمٍ ... مستنفَدَ الصوتِ.

ربّما ستفعلُ شيئاً في الغَداةِ. كأنني أراكَ إلى حيثُ انتويتَ
تغادِرُ...

❖

القصةُ، وما فيها، يا أصحابي، ويا رفاقي (لا أدري إنْ كنتم
لا تزالون
تستعملون كلمةَ " رفيق "... لا يَهمُّ) أن الشيوعيّ الأخير،
ذهبَ
قاصداً البصرةَ، بعدَ أن ودَّعَ حبيبتَه " لِيزا " التي أوصَتْهُ بألاّ
يدخلَ البصرةَ
بعدَ طولِ غيابٍ، إلاّ تحتَ الرايةِ الحمراءِ.

❖

في البصرةِ راياتٌ سُـــــــود
في البصرةِ راياتٌ بِيض
في البصرةِ راياتٌ من نخلٍ ذي أعجازٍ خاويةٍ...

لكنّ في البصرةِ، أيضاً، وبلا كلامٍ (أرجوكم !) : راياتُ المِلَكةِ

أعلى من كلِّ الرايات !

(المقصودُ بالملكةِ هنا : إليزابَث الثانية

(الأولى كانت تُمَـــوِّلُ القرصانَ

فرانسِسْ دْرَيك في القرن السادس عشـــــر، الميلادي طبعاً)

وإليزابَث

الثانيةُ هي ملكةُ انجلترة والبصرةِ وما جاورَها، في القرنِ الحادي والعشرين)

❖

وها هيَ، ذي، إذاً...

أسطورةُ الراياتِ تتْبَعُ فُوَّهاتٍ من بنادق أهلِها !

لكنني، وأنا الشيوعيّ الأخير، أظلُّ أحملُ رايتي الحمراءِ...

هل ضاعتْ بنادقُنا ؟

نسِيناها ؟

اتَّـــخَــــذْنا غيرَها ؟

أمْ أننا ضِعْنا وقد ضاعتْ بنادقُنا ؟

سلاماً للنصيرةِ !

للنصيرِ !

لِــفِــتْــيَـــــةٍ رفعوا على القُــنَــنِ الغريبةِ والروابي،

الرايةَ الحمراءَ

سوفَ نعودُ للقِمَمِ!

الصباحُ الـــجَهْمُ يُطْلِقُ بـــوقَـــنــــا :

بوقُ القيامةِ نحنُ...

أحراراً

شيوعيّينَ

نرفعُ رايةً مَـــرْوِيّـــــةً بدمٍ وأوحالٍ

وندخلُ أرضَـــــنا...

....

سنكونُ أجملَ من نهايتِـــــــا...

لندن 25.05.2006

الشيوعيّ الأخير
يسبح في خليج عدَن

قد طالَ ما ألقَيتُ أثوابي وأتعابي على حَجرٍ،
لأسبحَ في الخليجِ...
إلى يميني شـــــاطيءٌ متردِّدٌ بين الحصا والرملِ،
ألـــمحُ في يساري، عالياً، بين الصخورِ، فَناريَ الأعمى
وكان البحرُ يهدأُ في الخليجِ
وتلعبُ الأسماكُ بالألوانِ : أحمرَ، أصفرَ...
الفسفورُ يطفو، والقواقعُ تختفي في الموجِ ؛
ثَـــمَّ هسيسُ أطرافِ الســـــراطينِ الـــخَفِـــيُّ
وحبْلُ مرساةٍ تَقَطَّـــعَ قبلَ أعوامٍ،
وأهبطُ...
كنتُ ألـــتَمِسُ انغماراً لا يفارقُـــني...

انغماراً يجعلُ الجسدَ امتداداً للمياهِ وللنجومِ اللامعاتِ
هناكَ في القاعِ؛
انغماراً لا تُـــمَـــيِّـــزُ فيهِ بين يدَيكَ والشمسِ.
الخليجُ يُطِلُّ من عدَنٍ على عدَن
ومِن عدَنٍ على يَـــمَـــنٍ سيُبْحِرُ في الصباحِ ليبلُغَ الجنّاتِ
....
....
....
ما أبهى الـــمَـــعادَ !
كأنني ما زلتُ في عدَنٍ ؛
وأثوابي وأتعابي على حَجَـــــرٍ هناك !

لندن 31.05.2006

الشيوعيّ الأخير يعودُ من الشاطيء

كان الشيوعيُّ الأخيرُ يدورُ بينَ محطّةِ الباصاتِ والمقهى الصباحيّ...

النوارسُ لا تزالُ تدورُ زاعقةً فُوَيقَ الناسِ والطُّرُقاتِ والحِصْنِ القديمِ،

و لا تزالُ صَبيّةُ المقهى تُعَدِّلُ شَعرَها المنفوشَ ليلاً ؛

- يا صباحَ الخيرِ !

لم أعرفْ بأنكَ ههنا...

قد جئتُ أمسِ، لكي أعودَ اليومَ !

- قُلْ لي : أيُّ شيطانٍ قد استدعاكَ ؟

يأتي الناسُ كي يستمتعوا بالبحرِ والرملِ الدفيءِ ؛

وأنت تعودُ كالمجنونِ؟

ليس الأمرُ هذا...

قصّتي كانت مفاتيحي !

....

....

....

أتعرف؟ كنتُ بعدَ شتائنا القاسي وقضقضةِ العظامِ
أُحِسُّ بلهفةٍ للبحرِ. كنتُ أريدُ أن أُلقي بأتعابي وأثوابي
على رملِ الشواطيءِ... نحن ملاّحونَ في المعمورةِ !
البحرُ المحيطُ يُـــتـــمُّ رِحْلتَنا ويَبدؤها. أتحسَبُني تركتُ
البحرَ والرملَ الدفيءَ وفتنةَ الأجسادِ مختاراً ؟ كأنك يا صديقي
لستَ تعرفُني !
ألم أُخبِرْكَ ؟ ليس الأمرُ هذا. قصّتي كانت مفاتيحي.
أتيتُ إلى المدينة، (ولْـــتَــكُـــنْ Eastbourne)
واستأجرتُ غرفةَ منزلٍ. ومشَيتُ نحوَ الشاطيءِ. الأمواجُ
كانت كالجبالِ. وثَـــمَّ ريحٌ صَـــرصَـــرٌ. والناسُ يرتعدون
من بردٍ

عرايا. فتنةُ الأجسادِ قد ذهبتْ مع الريحِ ! انتظرتُ دقائـــقَ...

الموجُ العنيفُ يُرَشـــرِشُ الممشى. ويَبلغُ أوّلَ المقهى. إذاً، هل أرتمي في الماءِ، أم أرتدُّ نحـــوَ غُرَيفَتي بالمترلِ ؟ استجمعتُ بُقْـــيا من حماقاتِ الصِّـــبا، وهبطتُ، مثلَ قذيفةٍ في الماءِ.

❖

هل كنتَ تدري أنني متمرِّسٌ بالغوصِ ؟ ذاكَ الصبحَ في إيستبورنَ، غُصْتُ إلى قرارِ البحرِ. كان القاعُ أصلعَ. لا نباتَ و لا قواقعَ فيه. والأسماكُ قد رحلَتْ إلى بحرِ الشمالِ... الكهرمانُ هناكَ. والمرجانُ ينبتُ في الجنوبِ. وهكذا قرّرتُ أن أعلو إلى حيثُ المقاهي والملاهي والهواءُ. لقد أطْلَلْتُ... أدركتُ الحقيقةَ. ليس في القاعِ العجيبِ سوايَ. ســـوفَ أقولُ للناسِ، الحقيقةَ. سوف أرفعُ في مقاهي البلدةِ البحريّةِ الأنخابَ. سوف أقولُ : مرحىً للشيوعيّ الأخيرِ ! ومرحباً بفضيحةِ الأسماءِ والأشياءِ...

مَجْدُكَ أن تغوصَ إلى قرارِ البحرِ
مجدُكَ أن تقول !

❖

والآنَ تسألُني عن المفتاحِ ؟
سوف أقولُ شيئاً مضحكاً :
ضاعتْ مفاتيحي بقاعِ البحرِ...
لكني أُخَـــبِّـــيءُ نسخةً أخرى بلَبلابِ الحديقةْ !

لندن 04.06.2006

الشيوعيّ الأخير يشتري قميصاً

ظلَّ الشيوعيّ الأخيرُ، هو، الفقيرَ...
فإنْ تدَبَّرَ أمرَهُ يوماً، وصارَ المالُ يملأُ جيبَهُ
(تأتي مُصادفةً)
تأبَّطَ مالَهُ
ومضى يبدِّدُهُ : المقاهي والمطاعمُ،
والصديقاتُ اللواتي صِرْنَ قد أحبَبْنَهُ تَوّاً...
ورُبّتَما تذَكّرَ أمرَهُ
– أن يشتري، مثَلاً، قميصاً !

....

....

....

كم أحَبَّ السوقَ !
تلكَ الواجهاتِ، وباعةَ السِّلَعِ المزوَّرةِ

الصبايا العاملاتِ
وذلكَ الصعلوكَ عندَ المدخلِ الخلفيّ للبارِ العتيقِ...
وكم أحَبَّ مصاطبَ السوقِ !
العجائزُ، والسكارى الصُّبْحَ، والأطفال...
والشجرُ الذي ما زال يَعْبَقُ بالندى الليليّ...
ينتبهُ الشيوعيُّ الأخيرُ :
أَلَمْ أجيءْ كي أشتري شيئاً ؟
قميصاً رُبَّـــــما ؟

....

....

....

يدنو من البارِ العتيقِ
يُمازِحُ الصعلوكَ...
يدعوهُ إلى كأسٍ، وصحنِ فطائرٍ بالـــجُـــبْنِ
ينتبذانِ زاويةً.

ومثلَ البرقِ يقتنعُ الشيوعيُّ الأخيرُ بأنّ لونَ قميصهِ أبهى
وأنّ تجارةَ القمصان ليستْ شـــأنَــهُ ؛
أنّ الحياةَ تريدُهُ حُرّاً، وأحمرَ
أنّ لونَ قميصهِ سيظلُّ أحمرَ
قانياً،
ولْتسقط القمصانُ
إنْ كانتْ ستَعْــرِضُ بَيعَـــهُ، هوَ، في مَزادِ الســـوقْ...

لندن 05.06.2006

الشيوعيّ الأخير ينتظرُ الحافلة

أنا منذُ الفجرِ، هنا، في هذا الموقفِ،
أنتظِـــرُ الباصَ الأحمرَ...
مرّتْ سيّاراتٌ
وقطاراتٌ
مرّتْ باصاتٌ بالعشـــــراتِ
ولكنّ الباصَ الأحمرَ لم يأتِ
و لم أسمعْ خبراً عنه...
حتى ابنُ رفيقي لم يُــعْـــــنَ بأنْ يَسْـــمَــعَــني
حين استفسرْتُ !
إذاً... سأظلُّ هنا منتظِراً :
مرّتْ بي السنواتُ
ومرّتْ بي الباصاتُ

ومرّتْ بي الفتَيَاتُ ... فلم ألْحَقْ واحدةً منهنّ...

ولم أستمتعْ بالضحكاتِ وبالشهقاتِ ؛

الباصُ الأحمرُ لاحَ أخيراً في المنعطَفِ !

الباصُ الأحمرُ لم يتوقّفْ !

لوَّحْتُ

صرختُ

ولكنّ الباصَ الأحمرَ لم يتوقّفْ !

....

....

....

جاءَ ابنُ رفيقي مرتبكاً :

هل تَعْلَمُ أن السائقَ باعَ الباصَ الأحمرَ ؟

إنّ لديه الآنَ مواقفَ أخرى

ودروباً لا نعرفُها...

ومقاعدَ قد حُجِزَتْ سـلَـفاً، لِلصوصٍ معروفين!

....

....

....

ماذا نفعلُ ؟

سوف نسيرُ ونسألُ...

لندن 07.06.2006

الشيوعيّ الأخير يدخلُ في النفَق

كان صباحاً صيفيّاً حقّاً ؛

جارتُهُ خرجتْ من بابِ الدارِ،

وقد كشفَتْ للشمسِ خميصَ البطْنِ

بنصفِ قميصٍ...

والوردُ الإيرلنديُّ تَفَتَّحَ كالبرقِ،

وجاءَ النحلُ ليمتصَّ رحيقَ بنفسجةٍ

وتَرَجَّحَ سنجابٌ من غصنِ صنوبرةٍ دانٍ

وتَبَدَّتْ في المَرْجِ خيولٌ تلعبُ.

....

....

....

كان صباحاً صيفيّاً حقّاً...

ويفكّـــرُ " س " : لماذا أجلسُ وحدي ؟

فلأذهبْ صوبَ النهرِ...

أراقبُ موجاً يتطامَنُ بين نسائمَ هادئةٍ وزوارقَ من لوحٍ
فضّـــيٍّ،

وأرى الفتَياتِ يُلاعِبْنَ الفتيانَ على العشبِ

وأسمعُ أغنيةَ الموسيقيّ الجوّال،

وأختارُ كتاباً من كتبٍ مستعمَلَةٍ

وأسيرُ على مهلٍ

أضحكُ للدنيا !

....

....

....

كان صباحاً صيفيّاً حقّـــاً...

لم يتحرّكْ " س "

ظلَّ على جلستهِ بالشُّرْفة.

لم يُتْـــمِـــمْ قهوتَـــــهُ

لم يُنصِتْ للموسيقى.

أمسِ، تلَقّى، عبرَ الإنترنَتْ، الخبرَ :

الأمريكيّونَ أقاموا حفلةَ قتْلٍ لعراقيّينَ شبابٍ.

– أينَ ؟

– متى؟

❖

كارل ماركس تنبّـــــأَ :

إنّ الـــخُـــلْـــدَ الأحمرَ يحفرُ في النفقِ.

لندن 09.06.2006

الشيوعيّ الأخير يُشعلُ عودَ ثقّابٍ

مقهى رصيفٍ في ضواحي لندنَ الغربيّةِ
المقهى صغيرٌ
فيه طاولتانِ : واحدةٌ بها شابّانِ وامرأةٌ
وأخرى كان ينتظرُ الصديقةَ عندَها . . .
قالت له (ولْـنَفترِضْ أن اسمَها ليلى) :
أكونُ، لديكَ، في المقهى، إذا انتصَفَ النهارُ ؛
فلم تجيءْ.
مرّتْ دقائقُ عشـرٌ،
الشابّانِ راحا في سبيلِهِـما
وتلكَ الـمرأةُ استلّـتْ كتاباً من حقيبتِها . . .
وفَـكَّـرَ " س " :
إنْ لم تأتِ ليلى بعدَ خمسِ دقائقَ . . . استغنَيتُ عنها،

عن ضفيرتِها،
وعن تلك المواعيدِ التي قد أخْــلَــفَــتْــها كلَّــــها.
....
....
....
لم تأتِ ليلى!
المرأةُ الأخرى أشارتْ تطلبُ الثقّابَ.
أدركَ " س " أنّ الأرضَ واسعةٌ
وأنّ الخيرَ في ما اختارت الدنيا ...
تَحَـــــوَّلَ
أشعلَ الثقّابَ
أدنى وجهَهُ من وجهِ تلكَ المرأةِ الأخرى
وقالَ : أتسمحين؟

لندن 13.06.2006

الشيوعيّ الأخير يُعَدِّلُ
في النشيدِ الأممي

كان الشيوعيُّ الأخيرُ يقولُ إن نشيدَنا الأُمميّ ملتبسٌ قليلاً

...

قرنانِ قد مَـــرّا عليهِ
تَخافَقَتْ في الريحِ والأمطارِ راياتٌ تعالَتْ باســــمِـــهِ
وتَنَكَّسَتْ أخرى
وما عادتْ نُحاسيّاتُ موسيقاهُ موسيقى الشبيبةِ
في مسيراتِ الشــــوارعِ ...
إنّ كلَّ مظاهراتِ اليومِ، تبدأُ بالقَـــيــاثِـــرِ
لا الطبول ...
و ثَـــمَّ شـــيءٌ قد يُقالُ عن الأغاني
والفضاءِ

وعن جنونِ الأغنيـــــاءِ ...
مضى الشيوعيُّ الأخيرُ يُـــعَــدِّلُ الكلماتِ، شيئاً، إذْ
يُغَنِّـــــيها :
هُــــبُّـــــوا ضحايا الإضطهادِ
ضحايا هَولِ الأغنياءْ
بُركانُ الفِكْــرِ في اتِّــقادِ
إننا آيةُ السَـــــماءْ ...

....

....

لكنَّ ما يضَعُ الشيوعيَّ الأخيرَ بمأزقٍ، هوَ :
مَن سيسمعُهُ إذا غنّـــى ؟
إنْ كانت الكلماتُ من قرنَينِ
أو من لحظةٍ
أو مِن زجاجٍ ...
مَن سيسمعُهُ إذا غــنَّـــى ؟

لندن 22.06.2006

الشيوعيّ الأخير يتطوّع....

أمضى الشيوعيُّ الأخيرُ، الليلَ، معترِكاً مع الجاثومِ...
كانت طائراتٌ تخطِفُ الأطفالَ من نُعْمى أسِــــرَّتِهِم،
وتعلو في الهواءِ
لتقذفَ الأطفالَ
نحوَ بيوتِ أهليهِم،
وكان الوردُ والرمّــانُ يسترُ وجهَ " حَيِّ الســلَّــمِ "
المنخوبَ بالطَلَقاتِ...
ثَـــمَّ مَساحبٌ للــمَرْكباتِ العسكريّةِ
ثَـــمَّ مدافعٌ طلعتْ من البحرِ
السماءُ ثقيلةٌ حمراءُ
شمسٌ في الهواءِ القرمزويّ تكادُ تذوبُ...
لُبنانُ الــمُـــوَلْوِلُ يدفعُ الأمواجَ مُـــدَّرِعاً

ويغطِسُ في القرار...

....

....

....

يقولُ " س " :

كأننا في 82...

يا ما أعذبَ الذكرى !

تطَـــوَّعْـــنا

وقاتَـــلْـــنا

وكنّا نحرسُ الرمّانَ في بستانِ " حيِّ السُّـــلَّـــمِ "...

❖

شهداء عراقيّون

كانوا أربعةً في حيّ السلَّـــم

قنّاصي دبّاباتٍ

ورواةَ قصائدْ

كانوا عشّاقاً لفلسطينَ
رفاقاً في بغداد
وأمسَوا أشجاراً في " حيّ السلّم "
أربعةً كانوا في حيّ " السلّم ".

بيروت 05.08.1982

....

....

....

الأعوامُ أيّامٌ
وهاأنذا أُثَبِّتُ خطوتي
متطوِّعاً
وأسيرُ منحدِراً مع الأنهـــــار...

لندن 16.07.2006

الفهرس

الشيوعيُّ الأخيرُ فقط



قال الشيوعيُّ الأخيرُ :
سأستقيلُ اليومَ
لا حزبٌ شيوعيٌّ ، ولا هُم يحزَنون !
أنا ابنُ أرصفةٍ
وأتربةٍ
ومدرستي الشوارعُ
والهتافُ
ولَسْعةُ البارودِ إذ يغدو شميماً ...
لم أعُدْ أرضى المبيتَ بمنزلِ الأشباحِ ،
حيثُ ستائرُ الكتّانِ مُسْدَلَةٌ
وحيثُ الماءُ يَأْسَنُ في الجِرارِ ،
وتفقدُ الصوَرُ المؤطَّرةُ ، الملامحَ ...
أستقيلُ
وأبتَني في خيمةِ العمّالِ
مطبعةً
ورُكناً ...
سوف أرفعُ رايتي خفاقةً في ريحِ أيلولٍ
مع الرعدِ البعيدِ ، ومَدْفَقِ الأمطارِ ،
أرفعُها
ولن أُدْعَى الشيوعيَّ الأخيرَ !

www.attakwin.com

لوحة الغلاف للفنان إبراهيم العواد